(**وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)**) .

[البقرة : ٢٠٣] .

(**وَاذْكُرُوا اللَّهَ**) بألسنتكم وقلوبكم وجوارحكم ، بتكبيره وتهليله وتحميده وغير ذلك من أنواع الذكر .

(**فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ**) وهي أيام التشريق ، الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة .

(**فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ**) أي : خرج من منى ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثاني .

(**فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**) أي : فلا حرج عليه .

(**وَمَنْ تَأَخَّرَ**) بأن بات بها ليلة الثالث ورمى من الغد .

(**فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**) أي : فلا حرج عليه أيضاً .

فكل ذلك، التعجل في يومين والتأخر، وهذا من التخفيف والتيسير على الأمة، لكن لمن تأخر زيادة أجر عمله في اليوم الثالث.

(**لِمَنِ اتَّقَى**) للذي اتقى الله في أعمال الحج ومناسكه وغيرها ، فعلاً لما أمر الله به ، وانتهاء عما نهى الله عنه .

كما قال ﷺ (من حج فلم يرفث ولم يفسق ...) .

وقال ﷺ (الحج المبرور ليس جزاء إلا الجنة) .

(**وَاتَّقُوا اللَّهَ**) بفعل أوامره واجتناب نواهيه .

- **قال ابن عاشور** : (واتقوا الله) وصية جامعة للراجعين من الحج أن يراقبوا تقوى الله في سائر أحوالهم وأماكنهم ، ولا يجعلوا تقواه خاصة بمدة الحج كما كانت تفعله الجاهلية فإذا انقضى الحج رجعوا يتقاتلون ويغيرون ويفسدون ، وكما يفعله كثير من عصاة المسلمين عند انقضاء رمضان.

(**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) أي : واعلموا أنكم إليه ترجعون ، ولديه تجمعون ، وعليه تعرضون يوم القيامة وتحاسبون .

قال تعالى (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) .

وقال تعالى (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) .

وأمر الله بأن نعلم بأننا إليه راجعون ، لأن العلم بذلك أعظم واعظ يحمل على تقوى الله .

- **قال السمرقندي** : وإنما حذرهم الله تعالى ، لأنهم إذا رجعوا من حجهم ، يجترئون على الله تعالى بالمعاصي ، فحذرهم عن ذلك فقال (واتقوا الله واعلموا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فيجازيكم بأعمالكم.

الفوائد :

١-ذكر الله في هذه الأيام المعدودات .

٢-جواز التعجل والتأخر في الحج .

٣- سعة فضل الله وتيسيره على عباده .

٤-وجوب تقوى الله .

٥-قرن المواعظ بالتخويف .

(**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)**) .

[البقرة : ٢٠٤- ٢٠٦] .

(**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) أي : ومن الناس فريق يروقك كلامه يا محمد ويثير إعجابك بخلابة لسانه وقوة بيانه .

- و(من) بمعنى بعض كما في قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ) .
- قال ابن عاشور : والخطاب إما للنبي ﷺ أي ومن الناس من يظهر لك ما يعجبك من القول وهو الإيمان وحب الخير والإعراض عن الكفار .

ويجوز أن الخطاب لغير معين ليعم كل مخاطب ، تحذيراً للمسلمين من أن تروج عليهم حيل المنافقين ، وتنبيهه لهم إلى استطلاع أحوال الناس وذلك لا بد منه .

- **قال بعض العلماء** : إنها نزلت في الأخنس بن شَرِيق الثقفي، جاء إلى رسول الله ﷺ وأظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك.

وقال بعضهم : أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خُبَيب وأصحابه الذين قتلوا بالرّجيع وعابُوهم، فأنزل الله في ذم المنافقين ومدح خُبَيب وأصحابه (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ) .

قال ابن كثير : وقيل بل ذلك عام في المنافقين كلهم وهذا قول قتادة، ومجاهد، والرّبيع ابن أنس، وغير واحد، وهو الصحيح.

- **قال الرازي** : ... اختيار أكثر المحققين من المفسرين ، أن هذه الآية عامة في حق كل من كان موصوفاً بهذه الصفات المذكورة .
- **قال ابن عاشور** : والمراد من القول هنا ما فيه من دلالته على حاله في الإيمان والنصح للمسلمين، لأن ذلك هو الذي يهم الرسول ويعجبه، وليس المراد صفة قوله في فصاحة وبلاغة؛ إذ لا غرض في ذلك هنا ، لأن المقصود ما يضاد قوله: وهو ألد الخصام إلى آخره .
- قوله تعالى (في الحياة الدنيا) قيل : أي في هذه الحيا الدنيا فقط ، وأما في الآخرة فالحاكم فيها علام الغيوب الذي يطلع على القلوب والسرائر .

(**وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ**) قيل: معناه أنه إذا أظهر للناس الإسلام حَلَف وأشهد الله لهم: أن الذي في قلبه موافق للسانه. وهذا المعنى صحيح، وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير .

- **قال ابن عاشور** : ومعنى (يشهد الله على ما في قلبه) أنه يقرن حسن قوله وظاهر تودده بإشهاد الله تعالى على أن ما في قلبه مطابق لما في لفظه ، ومعنى إشهاد الله حلفه بأن الله يعلم إنه لصادق.

قال تعالى (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) .

وقال تعالى (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ) .

(**وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**) الألد في اللغة هو الأعوج، وهكذا المنافق في حال خصومته يكذب، ويَزْوَرَّ عن الحق ولا يستقيم معه، بل يفتري ويفجر، كما قال ﷺ (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) متفق عليه .

وفي البخاري عن عائشة . قالت . قال رسول الله ﷺ (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) .

(**وَإِذَا تَوَلَّى**) أي : أدبر ، وذهب عنك يا محمد ، وقيل : إنه بمعنى الولاية : أي : إذا كان والياً فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض ، قال الرازي : والقول الأول أقرب إلى نظم الآية ، لأن المقصود بيان نفاقه ، وهو أنه عند الحضور يقول الكلام الحسن ويظهر المحبة ، وعند الغيبة يسعى في إيقاع الفتنة والفساد .

(**سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**) السعي هنا القصد ، كما قال تعالى إخباراً عن فرعون (ثم أدبر يسعى ...) وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) أي : اقصدوا واعمدوا ناوين بذلك صلاة الجمعة ، فإن السعي الحسي منهي عنه بالسنة النبوية (إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وعليكم السكينة والوقار) .

- **قال الشوكاني:** والسعي المذكور يحتمل أن يكون المراد به: السعي بالقدمين إلى ما هو فساد في الأرض، كقطع الطريق، وحرب المسلمين، ويحتمل أن يكون المراد به العمل في الفساد، وإن لم يكن فيه سعي بالقدمين، كالتدبير على المسلمين بما يضرّهم، وأعمال الحيل عليهم، وكل عمل يعمله الإنسان بجوارحه، أو حواسه يقال له سعي، وهذا هو الظاهر من هذه الآية.
- **قال ابن كثير** : فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث، وهو مَحل نماء الزروع والثمار ، والنسل، وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوَام للناس إلا بهما.
- والحرث هنا مراد منه الزرع، والنسل أطفال الحيوان .
- **وقال مجاهد:** إذا سُعي في الأرض فسادًا، منع الله القَطْرَ، فهلك الحرث والنسل .
- **قال الشوكاني** : قال الزجاج: وذلك، لأن النفاق يؤدي إلى تفريق الكلمة، ووقوع القتال، وفيه هلاك الخلق، وقيل معناه: أن الظالم يفسد في الأرض، فيمسك الله المطر، فيهلك الحرث والنسل .
- فالمعاصي سبب لنزول المصائب وزوال النعم .

قال تعالى (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) .

وقال تعالى (لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) .

وقال تعالى (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً) .

وقال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

وقال تعالى (فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) .

وقال تعالى (فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ) .

وقال تعالى (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

(**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**) بيان أن عمله هذا مكروه إلى الله ، لأن الله لا يحب الفساد ، وإذا كان لا يحب هذا الفعل فإنه لا يحب من اتصف به ، ولهذا جاء في آية أخرى (واللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) .

(**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**) أي: إذا وُعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله، وقيل له : اتق الله، وانزع عن قولك وفعلك، وارجع إلى الحق امتنع وأبى، وأخذته الحميَّة والغضب بالإثم، أي: بسبب ما اشتمل عليه من الآثام .

وقيل المعنى : حملته العزة على الإثم ، من قولك أخذته بكذا : إذا حملته عليه ، وألزمته إياه .

وقيل : الباء في قوله (بالإثم) بمعنى اللام ، أي : أخذته العزّة ، والحمية عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه ، وهو : النفاق .
وقيل : الباء بمعنى : مع ، أي : أخذته العزّة مع الإثم .
(**فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ**) أي : هي كافيته عقوبة في ذلك ، فتكون له جهنم مهاداً وفرشاً .
(**وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**) أي : ولبئس هذا الفراش والمهاد .

- والمهاد جمع المهد ، وهو الموضع المهيأ للنوم ، ومنه مهد الصبي ، وسميت جهنم مهاداً لأنها مستقرّ الكفار .

الفوائد :

١- عدم الاغترار بظواهر الحال .
٢- وجود النفاق والمنافقين في كل زمان ومكان .
٣- من أعظم صفات المنافقين الكذب ، فهم يحلفون على صدقهم وهم كاذبون .
٤- الإشارة إلى ذم الجدل والخصام .
٥- أن المعاصي سبب لهلاك الحرث والنسل .
٦- إثبات محبة الله للصلاح .
٧- الحرص على السعي للصلاح .
٨- التحذير من الفساد في الأرض .
٩- الحذر من رد النصيحة .
١٠- أن رد النصيحة من علامات المنافقين .
١١- أن الأنفة تحمل صاحبها على الإثم .
١٢- الحذر من الكبر .

(**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)**) .
[البقرة : ٢٠٧] .

(**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ**) لما أخبر تعالى عن المنافقين بصفاتهم الذميمة ، ذكر صفات المؤمنين الحميدة فقال (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ) أي : ومن الناس فريق من أهل الخير باع نفسه .

- **قال ابن كثير** : قال ابن عباس، وأنس، وسعيد بن المسيب، وأبو عثمان النّهدي، وعكرمة، وجماعة: نزلت في صُهيب بن سنَان الرومي، وذلك أنَّه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة، منعه الناس أن يهاجر بماله، وإنْ أحب أن يتجرّد منه ويهاجر، فَعَل ، فتخلص منهم وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه الآية، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرّة ، فقالوا : رَبح البيع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أنّ الله أنزل فيه هذه الآية ، ويروى أن رسول الله ﷺ قال له (ربح البيع صهيب، ربح البيع صهيب) .

وأما الأكثرون فحمَلوا ذلك على أنها نزلت في كل مُجاهد في سبيل الله، كما قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ، ولما حمل هشام بن عامر بين الصفين، أنكر عليه بعضُ الناس، فردّ عليهم عُمَر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما، وتلوا هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَاد).

(**ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**) أي : طلباً لمرضات الله ورغبة في ثوابه لا يتحرى بعمله إلا وجه الله .

- **قال الرازي** : أكثر المفسرين على أن المراد بهذا الشراء : البيع ، قال تعالى (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) أي باعوه ، وتحقيقه أن المكلف باع نفسه بثواب الآخرة ، وهذا البيع هو أنه بذلها في طاعة الله ، من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، ثم توصل بذلك إلى وجدان ثواب الله ، كان ما يبذله من نفسه كالسلعة ، وصار الباذل كالبائع ، والله كالمشتري ، كما قال (إِنَّ الله اشترى مِنَ المؤمنين أَنفُسَهُمْ وأموالهم بِأَنَّ لَهُمُ الجنة) وقد سمى الله تعالى ذلك تجارة ، فقال (ياأيها الذين ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ على تجارة تُنجِيكُم مّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بالله وَرَسُولِهِ وتجاهدون فِى سَبِيلِ الله بأموالكم وَأَنفُسِكُمْ) .

(**وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**) أي : ذو رأفة ، وهي أشد الرحمة .

- **قال الرازي** : فمن رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المنقطع ، ومن رأفته جوز لهم كلمة الكفر إبقاء على النفس ، ومن رأفته أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها ، ومن رأفته ورحمته أن المصر على الكفر مائة سنة إذا تاب ولو في لحظة أسقط كل ذلك العقاب وأعطاه الثواب الدائم ، ومن رأفته أن النفس له والمال ، ثم أنه يشتري ملكه بملكه فضلاً منه ورحمة وإحساناً .

الفوائد :

١- فضل من باع نفسه لله .

٢-الإشارة إلى الإخلاص في سبيل الله .

٣-تقديم مرضات الله على النفس .

٤- رأفة الله بعباده .

(**يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩)**) .

[البقرة : ٢٠٨- ٢٠٩] .

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**) يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين المصدقين برسوله ، أن يأخذوا بجميع عُرَى الإسلام وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره ، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك .

وذهب بعض العلماء إلى أن المعنى : ادخلوا في الإسلام كلكم .

وقيل : إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا السبت كما كانوا فالمعنى على هذا : ادخلوا في الإسلام ، واتركوا سواه .

وقيل : (السلم) بفتح السين المسالمة ، والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية ، والأمر على هذا لأهل الكتاب ، وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة .

- **قال ابن كثير** : والصحيح الأول ، وأنهم أمروا أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام .
- **قال ابن تيمية** : (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) أي : الإسلام كافة ، أي في جميع شرائع الإسلام .

ورجحه الشيخ ابن عثيمين، **فقال** : هل المراد ادخلوا في السلم جميعه ، فتكون (كافة) حالاً من (السلم) أو ادخلوا أنتم جميعاً في السلم وتكون (كافة) حالاً من الواو في قوله (ادخلوا) ؟ الأقرب المعنى الأول ، لأننا لو قلنا بالمعنى الثاني : ادخلوا جميعاً في السلم صار معنى ذلك أن بعض المؤمنين لم يدخل في الإسلام وحينئذ فلا يصح أن يوجه إليه النداء بوصف الإيمان ، فالمعنى الأول هو الصواب أن (كافة) حال من (السلم) يعني ادخلوا في الإسلام كله ، ولا تدعوا شيئاً من شعائره .

(**وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**) تقدم شرحها .

ومناسبتها هنا ، لأن الشيطان يريد منكم عدم الدخول في الإسلام ، ويريد أيضاً عدم العمل بجميع شرائع الإسلام .

(**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**) جملة تعليلية أي: لا تتبعوا خطوات ومسالك الشيطان، لأنه ظاهر العداوة لكم، وذلك لأن الشيطان التزم أموراً سبعة في العداوة أربعة منها في قوله تعالى (وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءاذَانَ الأنعام وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله) وثلاثة منها في قوله تعالى (لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صراطك المستقيم ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانهم وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكرين) فلما التزم الشيطان هذه الأمور كان عدواً متظاهراً بالعداوة فلهذا وصفه الله تعالى بذلك. [مفاتيح الغيب : ٤/٥]

- وقد حذرنا الله في آيات كثيرة عن اتباع خطواته :

كما قال تعالى (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) .

وقال تعالى (ومِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) .

(**فَإِنْ زَلَلْتُمْ**) أي: عدلتم عن الحق .

(**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ**) أي : بعد ما قامت عليكم الحُجَجُ .

- **قال الشوكاني** : (مّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ البينات) أي : الحجج الواضحة ، والبراهين الصحيحة ، أن الدخول في الإسلام هو الحق .

(**فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ**) فاعلموا أن الله عزيز في انتقامه، لا يفوته هارب، ولا يَغلبه غالب .

(**حَكِيمٌ**) حكيم في أحكامه ونقضه وإبرامه .

قال في التسهيل : (فاعلموا أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ) تهديد لمن زل بعد البيان .

الفوائد :

١- فضل الإيمان .

٢- أن الإيمان مقتض لامتثال الأوامر .

٣- وجوب العمل بالشرع جملة وتفصيلاً .

٤- تحريم اتباع خطوات الشيطان .

٥- أن من أعظم خطوات الشيطان الصد عن الدخول في الإسلام .

٦- عداوة الشيطان .

٧- شدة عداوة الشيطان للإنسان كما قال تعالى عنه (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) .

٨- قرن الحكم بعلته .

٩- الوعيد لمن زل بعد قيام الحجة عليه .

١٠- أن الله تعالى أقام البينات على العباد .

١١- إثبات اسمين من أسماء الله وهما : العزيز والحكيم .

١٢- إثبات الحكمة الكاملة لله تعالى .

١٣- إثبات العزة – بجميع أنواعها – لله تعالى .

(**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الامُورُ (٢١٠)**) .

[البقرة : ٢١٠] .

(**هَلْ يَنْظُرُونَ**) يقول تعالى مهدداً للكافرين بمحمد ﷺ (**هَلْ يَنْظُرُونَ**) أي : ما ينتظر هؤلاء المكذبون الذين زلوا بعدما جاءتهم البينات .

(**إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ**) أي : لفصل القضاء .

- وفيه إثبات إتيان الله تعالى إتياناً يليق بجلاله .

(**فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ**) (في) بمعنى (مع) يعني يأتي مصاحباً لهذه الظلل ، وإنما أخرجناها عن الأصل الذي هو الظرفية ، لأنا لو أخذناها على أنها للظرفية صارت هذه الظلل محيطة بالله عز وجل ، والله أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته .

- والغمام قيل إنه السحاب الأبيض الرقيق ، وهذا الغمام يأتي مقدمة بين يدي مجيء الله تعالى كما قال تعالى (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً) .

(**وَالْمَلائِكَةُ**) أي : وتأتيهم الملائكة أيضاً محيطة بهم .

قال ابن كثير : يقول تعالى مُهَدّدًا للكافرين بمحمد ﷺ (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ) يعني: يوم القيامة، لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كُلّ عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر .

كما قال (كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا* وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفاً . وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) .

وقال (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) .

(**وَقُضِيَ الْأَمْرُ**) أي : فرغ منه ، وصار أهل النار إلى النار وأهل الجنة إلى الجنة .

(**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**) أي : إلى الله وحده لا إلى غيره ترجع الأمور ، أمور الدنيا والآخرة كما قال تعالى (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ) ومنها أن الناس يرجعون يوم القيامة إلى ربهم فيحاسبهم .

الفوائد :

١- وعيد هؤلاء بيوم القيامة .

٢-إثبات إتيان الله يوم القيامة للفصل بين عباده .

٣- إثبات الملائكة .

٤- إثبات عظمة الله تعالى .

٥- أن الملائكة أجسام .

٦- أن يوم القيامة به ينقضي كل شيء ، فليس بعده شيء ، إما إلى الجنة وإما إلى النار .

٧- عظمة الله وتمام سلطانه .

٨- إثبات البعث والجزاء . [الاثنين ١٨ / ١٢ / ١٤٣٢هـ] .

(سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٢١١) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)) .

[البقرة : ٢١١- ٢١٢] .

(**سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ**) يقول الله تعالى لنبيه ﷺ ، سل – أيها الرسول – بني إسرائيل المعاندين لك .

- وفي المراد بالسؤال : التقرير والإذكار بالنعم ، والتوبيخ على ترك الشكر .
- **قال الشوكاني** : وهو سؤال تقريع وتوبيخ .

(**كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ**) أي : كم شاهدوا مع موسى (مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) أي : حجة قاطعة على صدقه فيما جاءهم به ، كيده وعصاه وفَلَقِهِ البحر وضربِهِ الحجر ، وما كان من تظليل الغمام عليهم في شدة الحر ، ومن إنزال المنّ والسلوى وغير ذلك من الآيات الدالات على وجود الفاعل المختار ، وصدق من جرت هذه الخوارق على يديه ، ومع هذا أعرض كثير منهم عنها ، وبدلوا نعمة الله كفراً ، أي : استبدلوا بالإيمان بها الكفر بها والإعراض عنها .

كما قال تعالى عن كفار قريش (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ).

- **قال السعدي** : وسمى الله تعالى كفر النعمة تبديلاً لها ، لأن من أنعم الله بنعمةٍ دينية أو دنيوية فلم يشكرها ولم يقم بواجبها اضمحلت عنه وذهبت ، وتبدلت بالكفر والمعاصي ، فصار الكفر بدل النعمة .

(**وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) أي : قوي الجزاء بالعقوبة .

- وسمي الجزاء عقوبة وعقاباً ، لأنه يقع عقب الذنب مؤاخذة به .

(**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**) أي: زين وحسّن للذين كفروا بالله وبرسله الحياة الدنيا وشهواتها وما فيها من المتاع الزائل ونسوا الآخرة ، فجمعوا الأموال من غير حلها، وصرفوها في غير مصرفها، وعظموا الدنيا وأهلها وعملوا من أجلها ، فرضوا بها، واطمأنوا لها، وصارت أهواؤهم وإراداتهم وأعمالهم كلها لها، فأقبلوا عليها ، وأكبوا على تحصيلها، وعظموها وعظموا من شاركهم في صنيعهم .

- والتزيين جعل الشيء بهياً في عين الإنسان أو في سمعه أو في مذاقه أو في فكره .
- والمزَيّن إما أن يكون الله ، كما في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) وإما أن يكون الشيطان ، كما قال تعالى (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) ولا منافاة بين الأمرين ، فإن الله زين لهم سوء أعمالهم ، لأنهم أساءوا كما يفيده قوله تعالى (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) ، والتزيين من الله باعتبار التقدير ، أما الذي باشر التزيين ووسوس لهم بذلك فهو الشيطان . (ابن عثيمين) .
- فعلى المسلم أن يحذر من الحياة الدنيا وشهواتها ، ولهذا نهانا الله عن الاغترار بالكفار وما عليهم من الشهوات والملذات .

قال تعالى (لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) .

وقال تعالى (وَلا تَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) .

(**وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا**) أي : ويستهزؤن بأهل الإيمان ويرمونهم بقلة العقل لتركهم الدنيا والتقلل منها .

- فيسخرون من أهل الإيمان : لفقرهم ، ولتصديقهم بالبعث ، ولإيمانهم بمحمد ﷺ .

والسخرية والاستهزاء سنة ماضية من قِبل أعداء الإسلام لأهله ، فقد سخر واستهزأ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

قال تعالى (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) .

وقال تعالى (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) .

ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنَّ الْكُفَّارَ اسْتَهْزَءُوا بِرُسُلٍ قَبْلَ نَبِيِّنَا ﷺ وَأَنَّهُمْ حَاقَ بِهِمُ الْعَذَابُ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، وَلَمْ يُفَصِّلْ هُنَا كَيْفِيَّةَ اسْتِهْزَائِهِمْ ، وَلَا كَيْفِيَّةَ الْعَذَابِ الَّذِي أُهْلِكُوا بِهِ ، وَلَكِنَّهُ فَصَّلَ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ مِنْ مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ ، فِي ذِكْرِ نُوحٍ وَقَوْمِهِ ، وَهُودٍ وَقَوْمِهِ ، وَصَالِحٍ وَقَوْمِهِ ، وَلُوطٍ وَقَوْمِهِ ، وَشُعَيْبٍ وَقَوْمِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

فَمِنَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِنُوحٍ قَوْلُهُمْ لَهُ (بَعْدَ أَنْ كُنْتَ نَبِيًّا صِرْتَ نَجَّارًا) .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ (إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) .

وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ بِقَوْلِهِ (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ، وَأَمْثَالَهَا مِنَ الْآيَاتِ .

وَمِنَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِهُودٍ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) .

وَقَوْلِهِ عَنْهُمْ أَيْضًا (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ الْآيَةَ) .

وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي قَوْلِهِ (أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ..) ، وَأَمْثَالَهَا مِنَ الْآيَاتِ .

وَمِنَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِصَالِحٍ قَوْلُهُمْ فِيمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ (يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) .

وَقَوْلُهُمْ (يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ..) وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ بِقَوْلِهِ (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) وَنَحْوِهَا مِنَ الْآيَاتِ .

وَمِنَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِلُوطٍ قَوْلُهُمْ فِيمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ...) وَقَوْلُهُمْ لَهُ أَيْضًا (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ بِقَوْلِهِ (فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) وَنَحْوِهَا مِنَ الْآيَاتِ .

وَمِنَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِشُعَيْبٍ قَوْلُهُمْ فِيمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ بِقَوْلِهِ (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) وَنَحْوِهَا مِنَ الْآيَاتِ .

قال تعالى (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) .

(**وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) فيكون المتقون في أعلى الدرجات ، متمتعين بأنواع النعيم والسرور والبهجة والحبور ، والكفار تحتهم في أسفل الدركات ، معذبين بأنواع العذاب والإهانة والشقاء السرمدي الذي لا منتهى له

- **قال الشوكاني** : والمراد بالفوقية هنا : العلوّ في الدرجة؛ لأنهم في الجنة ، والكفار في النار ، ويحتمل أن يراد بالفوق : المكان؛ لأن الجنة في السماء ، والنار في أسفل سافلين ، أو أن المؤمنين هم الغالبون في الدنيا كما وقع ذلك من ظهور الإسلام ، وسقوط الكفر ، وقتل أهله ، وأسرهم ، وتشريدهم ، وضرب الجزية عليهم ، ولا مانع من حمل الآية على جميع ذلك لولا التقييد بكونه في يوم القيامة .
- ويوم القيامة سمي بذلك لأمور ثلاثة :

أولاً : لقيام الناس من قبورهم .

قال تعالى (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

ثانياً : ولقيام الأشهاد .

كما قال تعالى (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) .

ثالثاً : ولقيام الملائكة .

لقوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً) .

- وفي الآية فضل التقوى .

(**وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) أي : يرزق من يشاء من خلقه ، ويعطيه عطاء كثيراً جزيلاً بلا حصر ولا تعداد في الدنيا والآخرة .

كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

وقال ﷺ (ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وينزل فيه ملكان : يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً) متفق عليه .

ومن أسماء الله: الرزاق، كما قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) المتضمن لصفة الرَّزْق (بالتشديد وفتح الراء) .

وأما الرِّزق بالكسر فهو العين المرزوقة ، فإذا أتاك طعام فهو رِزق ، وإذا أتاك مال فهو رِزق .

- **قال السعدي :** (الرزاق) لجميع عباده فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ورزقه لعباده نوعان :

الأول : رزق عام شمل البر والفاجر والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان .

والثاني : رزق خاص وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين ، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته .

- وقد جاء في السنة اسم (الرازق) :

عن أنس ، قال : قد غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله ، قد غلا السعر فسعر لنا ، فقال : (إن الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق ، وإني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال). رواه أبو داود

- الآثار المترتبة على معرفتنا بهذا :

أولاً : محبة الله ، وإفراده سبحانه بالعبادة والانخلاع من الشرك بجميع أنواعه وأشكاله ، لأن الخالق لعباده والرازق لهم هو وحده المستحق للعبادة وحده لا شريك له .

وهذا ما احتج به سبحانه على المشركين حيث قال تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ) .

وقال تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

ثانياً : إن اليقين بأنه سبحانه المتفرد برزق عباده ، يثمر التوكل الصادق على الله ، والتعلق به وحده مع فعل الأسباب الشرعية في طلب الرزق (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) .

ثالثاً : كما أن اليقين بذلك يثمر ترك الأسباب المحرمة في طلب الرزق ، وعدم الخوف من المخلوق في قطع الرزق .

رابعاً : قدرة الله ، حيث إن المتكفل بأرزاق جميع خلقه لا يمكن أن يكون إلا قادراً مقتدراً على فعل كل ما يشاء .

خامساً : إن أعظم ما استجلب به رزق الله والبركة فيه تقوى الله وطاعته ، كما قال تعالى (ومَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) .

وقال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

سادساً : إيمان العبد باسمه سبحانه (الرزاق) يبعد عن القلب الشح والبخل .

سابعاً : وجوب طلب الرزق من الله لا من غيره .

قال تعالى عن الخليل (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) ولم يقل : فابتغوا الرزق عند الله ، لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر ، كأنه قال : لا تبتغوا الرزق إلا عند الله . (قاله ابن تيمية) .

الفوائد :

١- بيان كثرة ما أعطاه الله بني إسرائيل من الآيات البينات .

٢-تقريع وتوبيخ بني إسرائيل .

٣- التحذير من تبديل نعمة الله .

٤- تهديد ووعيد من يبدل نعمة الله كفراً .

٥- انخداع الكافرين بالحياة الدنيا .

٦- أن المؤمن الحق ليست الدنيا في عينه شيئاً .

٧- حقارة الدنيا .

٨- أن الاستهزاء بالمؤمنين سنة ماضية من أعداء الإسلام .

٩- أن العبرة بكمال النهاية .

١٠- البشرى للمؤمنين .

١١- كثرة رزق الله . [الثلاثاء ١٩ / ١٢ / ١٤٣٢هـ] .

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)) .

[البقرة : ٢١٣] .

(**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**) أي : كان الناس على الإيمان والفطرة ، وهذا بين آدم ونوح .

- فالمراد بالناس هنا: الذين هم بين آدم ونوح، فسار هؤلاء على التوحيد من عهد آدم إلى أن انتشر الشرك في عهد نوح، وهذا قول أكثر المحققين .

قال ابن عباس: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

- **قال ابن الجوزي** : قوله تعالى (كان الناس أمةً واحدةً) في المراد بـ (الناس) ها هنا ثلاثة أقوال :

أحدها : جميع بني آدم ، وهو قول الجمهور .

والثاني : آدم وحده ، قاله مجاهد .

والثالث : آدم وأولاده كانوا على الحق ، فاختلفوا حين قتل قابيلُ هابيلَ . ذكره ابن الأنباري . والأمَّة هاهنا : الصنف الواحد على مقصد واحد .

- **قال ابن عاشور** : والأمة بضم الهمزة: اسم للجماعة الذين أمرهم واحد، مشتقة من الأم بفتح الهمزة وهو القصد أي يؤمون غاية واحدة، وإنما تكون الجماعة أمة إذا اتفقوا في الموطن أو الدين أو اللغة أو في جميعها.

(**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**) أي : فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .

- **قال ابن عاشور** : ولأجل هذه القرينة يتعين تقدير فاختلفوا بعد قوله (أُمَّةً وَاحِدَةً) لأن البعثة ترتبت على الاختلاف لا على الكون أمة واحدة ، وعلى هذا الفهم قرأ ابن مسعود (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله...) ، ويؤيد هذا التقدير قوله في آية سورة يونس (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا) لأن الظاهر اتحاد غرض الآيتين، ولأنه لما أخبر هنا عن الناس بأنهم كانوا أمة واحدة ونحن نرى اختلافهم علمنا أنهم لم يدوموا على تلك الحالة .

والمقصود من الآية على هذا الوجه التنبيه على أن التوحيد والهدى والصلاح هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها حين خلقهم كما دلت عليه آية (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) .

- فيه أن مهمة الرسل والنبيين التبشير والإنذار ، **وإرسال الرسل له حكم** :

أولاً : التبشير للمؤمن والإنذار للكافر .

قال تعالى (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) .

وقال تعالى (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) .

وقال تعالى (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) .

وقال تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) .

ثانياً : رحمة للناس .

قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) .

ثالثاً : البلاغ المبين .

قال تعالى (وإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) .

وقال تعالى (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) .

وقال تعالى (فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) .

رابعاً : الدعوة إلى الله .

قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) .

وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) .

خامساً : إقامة الحجة .

وقال تعالى (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) .

وقال تعالى (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى) .

وعندما يصيحون بالنار بعد أن يحيط بهم العذاب من كل جانب وينادون ويصرخون تقول لهم خزنة جهنم:كما قال تعالى (قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) .

- قوله (النَّبِيِّينَ) النبي مشتق من النبأ ، وهو الخبر ، قال تعالى (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) ، وإنما سمي النبي نبياً لأنه مخبرٌ مخبَر ، أي : أن الله أخبره وأوحى إليه .

وقيل : مشتق من النبْوة ، وهي ما ارتفع من الأرض .

- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** : والتحقيق أن هذا المعنى – أي العلو والارتفاع – داخل في الأول ، فمن أنبأه الله فلا يكون إلا رفيع القدر علياً .

● واختلف العلماء في الفرق بين الرسول والنبي :

فجماهير العلماء يرون أن الرسول : من أوحي إليه بشرع وأمِر بتبليغه ، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه .

والدليل على التفريق قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) .

وشيخ الإسلام يرى : أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد ، أو من أوحي إليه بشرع من قبله ولكنه بعث إلى قوم مخالفين يدعوهم إلى هذا الشرع الذي معه ، وأما النبي فهو المبعوث لتقرير شرع من قبله ، فالنبي مأمور بالبلاغ ، لكنه يبلغه لقوم مؤمنين كأكثر أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يعملون بالتوراة من بعد موسى .

(**وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ**) أي : وأنزل مع كل نبي كتاب ، فالكتاب هنا جنس يشمل جميع الكتب .

وقد قال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) .

● **قال ابن الجوزي** : والكتاب : اسم جنس ، كما تقول : كثر الدرهم في أيدي الناس . وذكر بعضهم أنه في التوراة .

(**بِالْحَقِّ**) الباء للملابسة وللتعدية : أي أن القرآن نفسه نزل حقاً من عند الله لا من عند غيره ، وتكون للتعدية : بمعنى أن الكتاب نزل بالحق أي : أن ما اشتمل عليه القرآن فهو حق ، فعلى الوجه يكون المراد بقوله : بالحق تأكيد أنه نزل من عند الله ، وعلى الوجه الثاني يكون المعنى : أن كل ما اشتمل عليه القرآن من أوامر ونواهي وأخبار فهو حق .

وكلا المعنيين صحيح ، فهي حق من عند الله ، وما جاءت به من الشرائع والأخبار فهو حق .

(**لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ**) في الحاكم هاهنا ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الله تعالى .

والثاني : أنه النبي الذي أنزل عليه الكتاب .

والثالث : الكتاب ، كقوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) .

والمعنى ليحكم النبي بالكتاب كما قال تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا).

(**فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**) فكل شيء اختلفوا فيه فالكتاب يحكم بينهم .

(**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ**) أي : في الكتاب المذكور ، وقيل : يعود في الحق .

(**إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ**) أي : أوتوا وأعطوا الكتاب .

(**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ**) أي : الآيات الواضحات ، والحجج الساطعات .

(**بَغْياً بَيْنَهُمْ**) أي : أن ذلك بسبب الحسد والتعدي والبغي من بعضهم على بعض .

قال الشوكاني : أي لم يختلفوا إلا للبغي : أي الحسد والحرص على الدنيا ، وفي هذا تنبيه على السفه في فعلهم ، والقبح الذي وقعوا فيه ، لأنهم جعلوا نزول الكتاب سبباً في شدّة الخلاف .

● **قال ابن عاشور** : والمعنى أن داعي الاختلاف هو التحاسد ، وقصد كل فريق تغليط الآخر ، فيحمل الشريعة غير محاملها ليفسد ما حملها عليه الآخر فيفسد كل فريق صواب غيره وأما خطؤه فأمره أظهر.

وقوله(بَيْنَهُمْ) متعلق بقوله (بَغْياً) للتنصيص على أن البغي بمعنى الحسد، وأنه ظلم في نفس الأمة وليس ظلما على عدوها.

(**فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ**) في جميع الأبواب ، فهداهم للدين الحق وهو الإسلام ، وهداهم إلى الحق فيما اختلفوا فيه في أنبيائهم كعيسى ، وهداهم إلى الحق .

عن أبي هريرة في قوله (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ) قال: قال النبي ﷺ (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أوّلُ الناس دخولا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق ،

فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، فهدانا له فالناس لنا فيه تبع، فغدًا لليهود، وبعد غد للنصارى) متفق عليه .

قال ابن كثير : قال ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه في قوله (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ) فاختلفوا في يوم الجمعة، فاتخذ اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد. فهدى الله أمة محمد ليوم الجمعة.

واختلفوا في القبلة؛ فاستقبلت النصارى المشرق، واليهود بيت المقدس، فهدى الله أمة محمد للقبلة.

واختلفوا في الصلاة؛ فمنهم من يركع ولا يسجد، ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله أمة محمد ﷺ للحق من ذلك.

واختلفوا في الصيام، فمنهم من يصوم بعض النهار، ومنهم من يصوم عن بعض الطعام، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك.

واختلفوا في إبراهيم، عليه السلام، فقالت اليهود: كان يهوديًا، وقالت النصارى: كان نصرانيًا، وجعله الله حنيفًا مسلمًا، فهدى الله أمة محمد ﷺ للحق من ذلك.

واختلفوا في عيسى عليه السلام، فكذّبت به اليهود، وقالوا لأمه بهتانًا عظيمًا، وجعلته النصارى إلهًا وولدًا، وجعله الله روحه، وكلمته، فهدى الله أمة محمد ﷺ للحق من ذلك.

- **قال ابن الجوزي** : وفي الذي اختلفوا فيه ستة أقوال :

أحدها : أنه الجمعة ، جعلها اليهود السبت ، والنصارى الأحد ، وسبق الحديث في ذلك .

والثاني : أنه الصلاة ، فمنهم من يصلي إلى المشرق ، ومنهم من يصلي إلى المغرب .

والثالث : أنه إبراهيم . قالت اليهود : كان يهودياً ، وقالت النصارى : كان نصرانياً .

والرابع : أنه عيسى ، جعلته اليهود لِفرية ، وجعلته النصارى إلهاً .

والخامس : أنه الكتب ، آمنوا ببعضها ، وكفروا ببعضها .

والسادس : أنه الدين ، وهو الأصح ، لأن جميع الأقوال داخلة في ذلك .

- في الآية أنه كلما قوي إيمان العبد كان أقرب إلى إصابة الحق لقوله تعالى (فهدى الله الذين آمنوا) لأن الله علق الهداية على وصف الإيمان ، وما علق على وصف يقوى بقوته ويضعف بضعفه .

(**بِإِذْنِهِ**) أي: بعلمه، بما هداهم له ، وقيل : بأمره .

(**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**) أي : من خلقه ، أي ممن يستحق الهداية ، لأن كل شيء علق بمشيئة الله فإنه تابع لحكمته ، كما أنه سبحانه يجعل الرسالة في أهلها كما قال تعالى (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) فكذلك هو أعلم حيث يجعل هدايته .

(**إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) الذي يجمع بين العلم والعمل ، كما قال تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ) .

عن عَائِشَةَ . قَالَتْ كَانَ النبي ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم) رواه مسلم .

وفي الدعاء المأثور (اللهم، أرنا الحق حَقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا ووفّقنا لاجتنابه، ولا تَجْعَلْه ملتبسًا علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إماماً) .

فالإنسان قد يعرف الحق ولا يعمل به ولا يوفق لاتباعه ، وقد لا يعرف الحق .

الفوائد :

١- أن دين الإسلام هو الفطرة .

٢- الحكمة في إرسال الرسل وهي التبشير والإنذار .

٣-أن الشرائع التي جاءت بها الرسل تنقسم إلى قسمين : أوامر ونواهي .

٤- الترغيب والترهيب في الدعوة .

٥- إثبات علو الله تعالى بأنواعه .

٦-أن الكتب منزلة من عند الله .

٧-أن الواجب الرجوع إلى الكتاب عند النزاع .

٨- أن الناس لو رجعوا إلى الكتاب المنزل لحصل بينهم الائتلاف .

٩- أن كل مخالف للحق بعدما تبين فهو باغ ضال .

١٠- رحمة الله بالمؤمنين .

١١- أن الإيمان سبب للهداية للحق .

١٢- ينبغي على العبد أن يسأل ربه الهداية .

١٣- أن كل ما سوى دين الله فهو معوج .

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)) .

[البقرة : ٢١٤] .

(**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ** ...) أي : أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة .

(**وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ**) أي : والحال أنه لم يصبكم مثلُ ما أصاب مَن قبلكم مِن أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار .

- (مثل) أي : صفة ما وقع لهم ، و المثل يكون بمعنى الصفة مثل قوله تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي : صفتها كذا وكذا .

ويكون بمعنى الشبه ، كقوله تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً) أي : شبههم كشبه الذي استوقد ناراً .

(**مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ**) أي : الفقر .

(**وَالضَّرَّاءُ**) أي : الأمراض في أبدانهم .

(**وَزُلْزِلُوا**) بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل ، والنفي ، وأخذ الأموال ، وقتل الأحبة ، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال وآل بهم الزلزال إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به .

فتكون الإصابات هنا في ثلاثة مواضع : في المال ، والبدن ، والنفس .

- **قال ابن عاشور** : إن القصد من ذكر الأمم السالفة حيثما وقع في القرآن هو العبرة والموعظة والتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه بسوء عملهم والاقتداءُ في المحامد ، فكان في قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة) الآية إجمال لذلك وقد ختم بقوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) ، ولما كان هذا الختام منقبة للمسلمين أُوقِظوا أنْ لا يُزْهَوْا بهذا الثناء فيحسبوا أنهم

قضَوْا حق شكر النعمة ، فعقب بأن عليهم أن يصبروا لما عسى أن يعترضهم في طريق إيمانهم من البأساء والضراء اقتداء بصالحي الأمم السالفة ، فكما حذرهم الله من الوقوع فيما وقع فيه الضالون من أولئك الأمم ، حرضهم هنا على الاقتداء بهدي المهتدين منهم على عادة القرآن في تعقيب البشارة بالنذارة وعكس ذلك .

كما جاء في الحديث الصحيح عن خَبَّاب بن الأرَتّ قال (قلنا: يا رسول الله، ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال : إنّ من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفْرَق رأسه فيخلص إلى قدميه، لا يَصْرفه ذلك عن دينه، ويُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون) .

وقال الله تعالى (الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) .

وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة ﷺ في يوم الأحزاب، كما قال الله تعالى (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا) .

ولما سأل هرقلُ أبا سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: فكيف كان الحرب بينكم؟ قال: سِجَالاً يدال علينا ونُدَال عليه. قال: كذلك الرسل تُبْتَلى، ثم تكون لها العاقبة .

- **قال السعدي** : من سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل ، أن من قام بدينه وشرعه ، لا بد أن يبتليه ، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها ، ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه .
- **وقال ابن تيمية** في الحكمة من هذا الابتلاء : فإن النفس لا تزكو وتصلح حتى تمحص بالبلاء كالذهب الذي لا يخلص جيده من رديئه حتى يفتن في كير الامتحان ، إذ كانت النفس جاهلة ظالمة وهي منشأ كل شر يحصل للعبد ، فلا يحصل له شر إلا منها ، قال تعالى (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) .

قال ابن القيم مبيناً الحكمة مما أصاب النبي وأصحابه يوم أحد :

فمنها: تعريفُهم سوءَ عاقبة المعصية، والفَشَل، والتنازُع، وأن الذي أصابَهم إنما هو بِشُؤمِ ذلِكَ، كما قال تعالى (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ، حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ، مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ

ومنها: أن حِكمة الله وسُنَّته في رُسله، وأتباعِهم، جرت بأن يُدَالوا مَرَّةً، ويُدَالَ عليهم أُخرى، لكن تكونُ لهم العاقبةُ، فإنهم لو انتصرُوا دائماً، دخلَ معهم المؤمنون وغيرُهم، ولم يتميَّز الصَّادِقُ مِن غيره، ولو انتُصِرَ عليهم دائماً، لم يحصل المقصودُ من البعثة والرسالة، فاقتضت حِكمة الله أن جمع لهم بينَ الأمرين ليتميز مَن يتبعُهم ويُطيعهُم للحق، وما جاؤوا به ممن يتبعُهم على الظهور والغلبة خاصة.

ومنها: أن هذا مِن أعلام الرسل، كما قال هِرَقْلُ لأبي سفيان: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟ قال: نعم. قَالَ: كَيْفَ الحَرْبُ بَيْنَكُم وبَيْنَه ؟ قالَ: سِجَال، يُدالُ علينا المرة، ونُدالُ عليه الأخرى. قال: كَذلِكَ الرُّسُل تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ العَاقِبَة.

ومنها: أن يتميَّز المؤمنُ الصَّادِقُ مِن المنافقِ الكاذب .

ومنها: استخراجُ عبوديةِ أوليائه وحزبِه في السَّراء والضرَّاء، وفيما يُحبُّون وما يكرهون، وفى حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتُوا على الطاعة والعبودية فيما يُحبون وما يكرهون، فهم عبيدهُ حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد مِن السَّراء والنعمة والعافية.

ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائماً، وأظفرهم بعدوِّهم في كُلِّ موطن، وجعل لهم التَّمْكِينَ والقهرَ لأعدائهم أبداً، لطغتْ نفوسُهم، وشمخت وارتفعت .

ومنها: أن النفوسَ تكتسِبُ من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً ورُكوناً إلى العاجلة، وذلك مرض يَعُوقُها عن جِدِّها فى سيرها إلى الله والدارِ الآخرة، فإذا أراد بها ربُّهَا ومالِكُهَا وراحِمُهَا كرامته، قيَّض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليلَ الدواءَ الكريه، ويقطع منه العروقَ المؤلمةَ لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه، لَغَلَبَتْهُ الأدواءُ حتى يكون فيها هلاكه.

(**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**) من شدة الكرب والبلاء ، قالوا ذلك: استعجالاً للنصر وليس للشك .

(**أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**) يحتمل أن يكون جواباً من الله تعالى لهم ، إذ قالوا (متى نَصْرُ الله) فيكون كلامهم قد انتهى عند قوله (متى نَصْرُ الله) ثم قال الله عند ذلك (أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ) .

ويحتمل أن يكون ذلك قولاً لقوم منهم ، كأنهم لما قالوا (متى نَصْرُ الله) رجعوا إلى أنفسهم فعلموا أن الله لا يعلي عدوهم عليهم ، فقالوا (أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ) فنحن قد صبرنا يا ربنا ثقة بوعدك ، وكلاهما صحيح .

- في هذه الآية البشارة العظيمة بأن نصر الله وتفريج الكربات مقرون بالكرب .

كما قال ﷺ (وَأَنْ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) ويشهد لهذا :

قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا) . وقوله تعالى (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا) . وقوله تعالى (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) .

قال ابن رجب رحمه الله: وكم قص سبحانه من قصص تفريج كربات أنبيائه عند تناهي الكرب، كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإنجاء إبراهيم من النار ، وفدائه لولده الذي أمر بذبحه ، وإنجاء موسى وقومه من اليم ، وإغراق عدوهم .

قال رحمه الله : ومن لطائف اقتران الفرج بالكرب واليُسر بالعسر : أن الكربَ إذا اشتد وعظُمَ وتناهي ، حصل للعبد الإياس من كشفه من جهة المخلوقين ، وتعلق قلبه بالله وحده ، وهذا هو حقيقة التوكل على الله ، وهو من أعظم الأسباب التي تُطلبُ بها الحوائج ، فإن الله يكفي من توكل عليه ، كما قال تعالى (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

قال الفضيل : لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً ، لأعطاك مولاك كل ما تريد .

الفوائد :

١- إثبات الجنة .

٢- أن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي .

٣-حكمة الله في الابتلاء بهذه المصائب .

٤- حكمة الله حيث يمنع النصر لفترة معينة من الزمن .

٥- أن الصبر على البلاء من أسباب دخول الجنة .

٦- تبشير المؤمنين بالنصر ليتقووا على الاستمرار في الجهاد .

٧- أنه لا وصول إلى الكمال إلا بعد تجرع الصبر .